

نشاط الجمعيات النسوية التونسية خلال الفترة الاستعمارية 1930-1956

Activity of Tunisian women's associations during the colonial period 1930-1956

محمد بوطيبي¹

¹ قسم العلوم الانسانية (التاريخ)، جامعة يحي فارس بالمدينة، bt.med@hotmail.com

تاريخ القبول: 2021/04/06

تاريخ الإرسال: 2020/09/27

ملخص:

لقد شكلت المسألة النسوية أحد المسائل الاجتماعية الكبرى في الساحة الفكرية والإعلامية التونسية خلال الربع الأول من القرن العشرين، ومست مختلف الجوانب المتعلقة بالمرأة التونسية، منها: التعليم، السفور، الحجاب، الحداثة والتمدن، غير أن المرأة التونسية، وبدافع من جهات سياسية وأطراف فكرية تحركت لتنهض وتدافع عن حقوقها وواجباتها اليومية، متخذة من النوادي والجمعيات النسوية منابر لطرح الاهتمامات والقضايا المتعلقة بالمرأة خلال النصف الأول من القرن العشرين.

فما هي بواكير الجمعيات النسوية التونسية، وما هي أهم هذه الجمعيات التي ظهرت للدفاع عن حقوق المرأة التونسية؟ وما هي طبيعة القضايا التي عالجت هموم المرأة وانشغالاتها خلال النصف الأول من القرن العشرين؟

الكلمات المفتاحية:

جمعية المواساة؛ الاتحاد النسائي؛ جمعية النساء المسلمات؛ جمعية الاتحاد النسائي؛ جمعية السيدات المسلمات.

Summary:

The feminist issue constituted one of the major social issues in the Tunisian intellectual and media arena in the first quarter of the twentieth century, and touched the various aspects related to Tunisian women in issues of education, unveiling, headscarves, modernity and urbanization. However, Tunisian women, motivated by political partisan and intellectual parties, moved women. To rise to defend the irrights and duties, taking feminist clubs and societies as platforms to raise concerns and issues related to the gender of women. The women's associations that emerged on the Tunisian political and social arenas, what were the earliest feminist societies and the most important of these that emerged to defend the rights of Tunisian women during the first half of the century Twenty?

keywords:

The Mouwasat Association, the Women's Union, the Muslim Women's Association, the Women's Union Association, the Muslim Women's Association.

1 مقدمة:

اعتمدت النساء التونسيات مقرات الجمعيات والنوادي النسوية منابر اجتماعية، للنهوض بالمرأة والدفاع عن حقوقها في بداية الثلث الأول من القرن التاسع عشر، إذ أصبحت هذه المقرات معاقل للنضال وتبادل الأفكار فيما بينهن، حيث ارتأت ثلة من النساء التونسيات المتعلّقات إلى ضرورة تأسيس جمعيات خاصة بهن، بدلا من اللقاءات في الحمامات والمآتم والحفلات.

ومن هذا المنطلق بدأ التفكير في تأسيس الجمعيات النسائية في البلاد التونسية خلال الثلث الأول من القرن العشرين، وهو ما يؤكدته مقال "الهادي العبيدي" الذي نشره في جريدة الصواب بعنوان: "الجمعيات النسائية وحاجتنا إليها"، والذي يبين فيه أهمية الجمعيات والنوادي في حياة المرأة التونسية، بقوله: "مسألة تأسيس جمعيات ونوادي مختلفة من أهم المسائل بل ضرورة لنا إذا أردنا أن نهض بالمرأة إلى مستوى يمكنها من المشاركة الفعلية في هذا المعترك العظيم". ليبين للقارئ التونسي بأن الجمعيات أصبحت ضرورة ملحة للنساء التونسيات، بقوله: "... إذا لم تكن جمعيات نسائية تؤمّم الفتاة فتباحث صاحباتها في دروسها اليومية ويتبادلن الآراء في المواضيع الأدبية والاجتماعية التي تصقل الذهن وتربي الملكة في الرؤوس". (العبيدي، 1928، ص3)

وبالفعل فقد عرفت فترة الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي منعرجا حاسما في حياة المرأة التونسية، بحيث استطاعت أن تلعب دورا أساسيا في الحياة المدنية، (القايد الدو، 2006، ص 31) وتساهم في معترك الحياة الاجتماعية، من خلال تأسيس العديد من الجمعيات المتعلقة بجنسها، للدفاع عن مطالبتها وحقوقها الاجتماعية، خاصة بعد ظهور كتاب الطاهر الحداد الموسوم بعنوان: "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" في عام 1930، والذي أحدث بدوره ضجة كبيرة في أوساط النخبة الفكرية التونسية، بين مؤيد ومعارض، كما طرحت خلال هذه الفترة مسألة المرأة التونسية بشكل واسع في النوادي الثقافية والعلمية والجرائد التونسية بين دعاة تحرر المرأة التونسية وسفورها وبين دعاة المحافظة من تحررها وتبرجها.

وانعكاسا لتلك الأحداث والتطورات السابقة لم تتخذ المرأة التونسية موقف المتفرج من المستجدات والحراك المتعلق بشأنها، ولم تستسلم لوصاية المفكرين والإعلاميين التونسيين الذين راحوا يدافعون عن المرأة، بل نهضت بنفسها للدفاع عن القضايا والمسائل المتعلقة بجنسها، وذلك بتأسيس جمعيات ذات طابع نسوي في مطلع الثلاثينات من القرن العشرين، في ظل الحماية الفرنسية المفروضة على البلاد التونسية منذ عام 1881. فما هي أهم الجمعيات النسوية التونسية؟ وما هي ظروف تأسيسها؟ وما طبيعة نشاط هذه الجمعيات؟ وما طبيعة القضايا التي ساهمت في معالجتها خلال النصف الأول من القرن العشرين؟

2- بواكير الجمعيات النسائية التونسية:

لقد طبع الساحة الاجتماعية التونسية في مطلع الثلاثينات من القرن الماضي ظهور بعض الجمعيات النسوية، منها: "جمعية النساء المسلمات" التي تأسست بعد الكارثة الطبيعية التي حلت بالمجتمع التونسي في شتاء 1932م، جراء الفيضانات التي أصابت مناطق الشمال التونسي، مما جعل بعض النساء اللواتي ينتمين إلى الطبقة الثرية القيام بعمل خيري اتجاه أبناء المجتمع التونسي. (ناثلة ماني، 1983/1982، ص62)، حيث فكرت النساء في تأسيس جمعية نسائية لمساعدة الهالكين في تلك الفيضانات، وذلك عن طريق إقامة الحفلات الموسيقية التي

اقتصرت على العنصر النسوي فقط. فخلال الاجتماع الذي عقدته مجموعة من النساء في حفلة أقيمت في دار الخلصي بالعاصمة التونسية بتاريخ 20 فيفري 1932، على شرف زوجة المقيم العام الفرنسي مونسرون وأميرتين من الأسرة الحاكمة في البلاد، تم الإعلان عن تأسيس "جمعية النساء التونسيات"، بحيث أسندت رئاستها للسيدة فاطمة قلاتي (أحمد خالد، 1985، ص 267) زوجة حسن قلاتي رئيس الحزب الإصلاحي.

كما تم بعث جمعية نسائية أخرى باسم "جمعية السيدات المسلمات" في 12 سبتمبر 1934م، برئاسة السيدة بن خليفة ونساء أخريات، منهن: حرم عثمان الكعاك ومحمود الماطري، بحيث تأسست هذه الجمعية من أجل العمل الخيري والنشاط الاجتماعي، ومساعدة الطلبة الذين كانوا يزاولون تعليمهم بفرنسا. (زهير الذواودي، 2003، ص 74)

وتلا هذه الجمعية ظهور جمعيات أخرى، منها التي كانت لها توجهات وطنية وأخرى لخدمة الحماية الفرنسية، ساهم في تأسيسها مجموعة من النساء ينتمين لمختلف الاثنيات الموجودة في البلاد التونسية خلال الفترة الاستعمارية. ونظرا لأهمية ونشاط هذه الجمعيات، اقتصرنا في دراستنا هذه على الجمعيات الثلاث التي ظهرت في تونس قبل الاستقلال عام 1956.

3. الجمعيات النسائية التونسية:

3 1 جمعية الاتحاد النسائي (UNION FEMININE):

جاءت هذه المؤسسة الاجتماعية الخيرية بعد الاجتماع الذي عقد بدار الفورتي، الذي توج بتأسيس جمعية الاتحاد الإسلامي التونسي، وإن لم تقدم هذه المجموعة المؤسسة للجمعية طلبا رسميا للسلطة الحاكمة إلا في بداية عام 1938م، تحت أسماء السيدة القروي ونبيهة بن مراد. والوثائق الأمنية الفرنسية تشير للضغط والنشاط المكثف للحركة النسائية من أجل الضغط على الباي التونسي، قصد للحصول على اعتماد الجمعية طبقا لقانون 6 أوت 1936 (A.N.T; 1938, Doc: 01) وبالفعل فقد تأسست الجمعية بعد فترة وجيزة فقط، وحددت الجمعية جملة من الأهداف تسهر عليها، تتمثل في:

- تربية وتكوين الفتيات التونسيات اللواتي يتراوح أعمارهن بين 12 و 18 سنة في إطار العادات والتقاليد التونسية.
- نشر الثقافة العربية الإسلامية بين الفتيات ضمن القانون الأساسي المحدد لشروط العمل الجمعوي الصادر بتاريخ 1888. (A.N.T; 24-02-1951, Doc: 02)

- ربط المودة والتعارف والصدقة بين أعضاء الجمعية.
- تعليم وتربية الفتاة التونسية على الأخلاق الإسلامية العليا.
- نشر الثقافة العربية الإسلامية في الوسط النسوي. (DEMEERSEMAN; p32)

وتشير الوثائق الأمنية الفرنسية بأن الجمعية جاءت بعد الضجة الإعلامية التي أحدثها الطاهر حداد عندما نشر كتابه الموسوم بعنوان: "إمرأتنا في الشريعة والمجتمع". (A.N.T; 24-02-1951, Doc: 03) في عام 1930، الذي لقي معارضة حادة من التيار المحافظ، ومنهم شيوخ جامع الزيتونة.

وقد عثرنا على الوثيقة التأسيسية للجمعية، التي تم إمضاؤها من طرف بعض السيدات التونسيات، وهن: زوجة صالح الزهار، السيدة بن ميلاد، وزينب الغرياني. وكان يسهر على إدارة الجمعية مجموعة من السيدات والفتيات البالغات*، بهدف ربط أواصر الصداقة والتواصل بين أعضاء الجمعية، وتربية وتعليم الفتيات التونسيات

على مبادئ الشريعة الإسلامية. وذلك بنشر الثقافة العربية الإسلامية في أوساطهن كما جاء في نص المادة الثالثة من القانون التأسيسي للجمعية، بعيدا عن الخوض في الجوانب السياسية والدينية. وقد اقتصر النشاط في داخل الجمعية على التونسيات المسلمات فقط، في الوقت الذي يمكن أن تقبل الجمعية غي المسلمات (المهوديات والمسيحيات) عضوات شرف فقط. ومنحت المادة رقم 13 من القانون الأساسي للجنة الإدارية حق طرد الفتيات التي يخللن بالتعاليم بالإسلامية. وخولت هذه الجمعية لنفسها إحياء الاحتفالات الدينية، ومنها الاحتفال بمناسبة المولد النبوي الشريف. (A.N.T; 1951, Doc: 03)، غير أننا لاحظنا أن الجمعية أصبحت تطلق على نفسها بالاتحاد النساء التونسي.

يبدو واضحا أن الاتحاد النسائي كان جمعية ذات طابع إسلامي، متأثرة بالمنهج والخطاب الزيتوني الذي ساد خلال الثلث الأول من القرن العشرين، الذي تميز بالتحفظ من مسألة تحرر المرأة التونسية وسفورها، وهذا ما جعل بعض بنات وعقيلات شيوخ جامع الزيتونة ينشطن في هذه الجمعية، ونذكر من بينهن مثلا: بشيرة، حبيبة ونجبية، بنات الشيخ محمد الصالح بن مراد، وسارة بنت الخوجة بن الحاج علي بن الخوجة⁽¹⁾ بصفته مدرس بالجامع الأعظم. (ضيف الله، أوت 1995، ص 127)

فالنشاط الذي كان تقوم به جمعية الاتحاد النسائي الإسلامي يتمثل في تشجيع التعليم والمعرفة والرقى الفكري لدى المرأة التونسية، كما جاء في رسالة الشكر التي أرسلتها الكاتبة العامة تشجيعا لسكان قصر هلال بمناسبة تأسيس فرع مدرسي لتعليم فتيات المنطقة، تطلب من أغنيائها المساهمة في هذا المشروع العلمي، مبرزة دورها في تعليم البنات وتكوينها الاجتماعي بالعبارة التالية: "من يعلم إبننا يعلم فردا ومن يعلم بنتنا يعلم عائلة" (الكاتبة العامة، 10-09-1950م، ص 3).

و قد تعدى نضال الاتحاد النسائي الإسلامي من الاهتمام بقضايا المرأة إلى الدفاع عن حقوق الطلاب التونسيين، وذلك من خلال الرسالة التنديدية التي وجهتها رئيسة الاتحاد النسائي إلى السيد شنيق رئيس الحكومة التونسية، بتاريخ 31 جانفي 1951م، معارضة بشدة سياسة الحكومة التونسية التي أوقفت خمسة طلاب من الجامع الأعظم، بتهمة القيام بالإضرابات في الحرم الزيتوني، للمطالبة بتحسين الجانب التعليمي إلى جانب الطلبة الزيتونيين في مسعى تحديث التعليم الوطني. (A.N.T; 31-01-1951, Doc: 09).

إن نشاط الجمعية لم ينصب حول مسألة التعليم والتربية فقط، بل اهتمت بالقضايا الاجتماعية الأخرى، وباتت الجمعية تدافع عن شؤون الأسر التونسية، برفع شكوى إلى الوزارة الكبرى التونسية عام 1951، تشكو حال الأسر التونسية المتضررة من غلاء المعيشة، الذي تزامن مع رفع تسعيره الخبز في تونس في منتصف القرن العشرين. (A.N.T; 01-10-1951, Doc: 07) مطالبة الحكومة بوضع حد لمسألة نقص الغذاء في المملكة التونسية خلال تلك الفترة. (A.N.T, 17-09-1951, Doc: 16)، لأن الكثير من الأسر التونسية كانت تعاني من عدم القدرة على توفير القوت لأطفالهن. (A.N.T, 17-09-1951, Doc: 16). والحقيقة أن هذا جمعية الاتحاد النسائي كان واقعية في مطالبها، نظرا لأن أعضاء الجمعية لم يبالغوا في تحقيق المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة (عميرة علي، ص 57)، ومطالبهن لم تخرج عن نطاق الشريعة الإسلامية، والأعراف التونسية.

¹ - علي بن الخوجة: من مواليد 30 جويلية 1892 بتونس، واحد من شيوخ الزيتونة، تحصل على الشهادة الابتدائية عام 1906. وعين إماما خطيبا بجامع يوسف صاحب الطابع عام 1911، وعين مفتيا عام 1936، وكانت وفاته في 21 أبريل 1982، من آثاره العديد من المکتبّات بجوامع صاحب الطبع محمد باي وسيدي محرز. انظر: بوذينة محمد، 1992، ص 369، 370.

3. 2. جمعية المواطنة (الجمعية النسائية للتعاون والعمل الخيري) :

لقد أقدمت فئة من النساء التونسيات على تأسيس جمعية "المواطنة"، المعروفة بالجمعية النسائية للتعاون والعمل الخيري (association féminine d'entre aide et de la bienfaisance)، هذه الجمعية التي كان يطلق عليها الجمعية النسائية التونسية الإسلامية الخيرية (A.N.T, 27-04-1951, Doc:12)، والتي تم إنشاؤها بموجب القرار الوزاري الصادر في تاريخ 24 فيفري 1947م، نظرا لعدم تسجيل أي أمر ملفت للانتباه في شأن الأعضاء المؤسسين للجمعية من طرف السلطات الأمنية المخولة بهذا الغرض. (A.N.T; 24-04-1947; Doc: 03) فقد ردت الإدارة الفرنسية على الرسالة رقم 1963، المؤرخة في 31 مارس 1947م، بالموافقة على القانون الأساسي للجمعية في 7 جوان 1947 رقم 1. 247. (A.N.T, 27,04-1947, doc:12)، وعلى أثر ذلك تم اتفاق أعضاء الجمعية على تنصيب السيدة زينب الغرياني على رأس الجمعية النساء التونسيات المسلمات. (A.N.T, 1951; doc:5)

لقد تمحورت اهتمامات الجمعية حول النهضة بالفتاة التونسية وكيفية إسعافها اجتماعيا، من خلال بناء مأوى خاص بالفتيات المعوزات بمقبرة سيدي سفيان، كما جاء في الشكوى التي رفعتها رئيس جمعية المساواة (IBID, Doc: 11) السيدة زينب الصادق الغرياني زوجة الطيب ميلادي (A.N.T, 24-05-1951, Doc: 14) إلى الوزارة الأولى، التي كان على رأسها محمود المطاوي بتاريخ 9 نوفمبر 1951م، تطالب منه المساعدة والدعم من أجل بناء المقر الخيري للفتيات المعوزات المذكور سابقا، والذي استفادت منه الجمعية بموجب القرار رقم 1947، رغم ذلك فقد ظل المشروع معطلا منذ 1947، بسبب عرقلة السلطات المحلية للمشروع في تلك الجهة. (A.N.T, Doc: 7,11) كما راسلت الجمعية قبل هذا التاريخ، وبالذات في شهر أفريل 1950 الباي التونسي ذاته، تطلب منه تقديم الأرض التي وعدت بها من طرف مشيخة مدينة تونس في جهة سيدي البحري، قصد بناء مأوى للفتيات المعوزات التونسية، لكن دون جدوى. (A.N.T, 24-02-1951, Doc:21) وسطرت الجمعية مبادئ وأهداف ضمن القانون الأساسي للجمعية المتمثل فيما يلي:

لقد حدد أعضاء الجمعية القانون للجمعية، لتوضيح شروط العمل والعضوية، بحيث حدد أعضاء الجهاز الإداري للجمعية ب 11 عضوا من المسلمات التونسيات، ينتخبن لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد، وتقتصر مهام الجمعية على ما يلي:

- ممارسة النشاط الاجتماعي بعيدا عن الخوض في المسائل السياسية والدينية.
- القيام بالأعمال الخيرية في المجتمع وفقا لإمكاناتها المادية.
- إعالة البنات الفقيرات اللواتي فقدن عائلتهن (المسؤول عن العائلة)، أو هو في حالة عجز، بحيث لا يستطيع إعالة بناته، وتلبية حاجتهن الضرورية .
- التكفل بالنساء الفقيرات، اللواتي فقدن أزواجهن، كما جاء في نص المادة الأولى من القانون الأساسي للجمعية (القانون الأساسي للجمعية، ص1).

عموما كان مشروع الجمعية هو بناء مقرات تعليم الفتيات التونسيات، وتدريبهن على المهارات الصناعية، و توفير العلاج لهن من الأمراض المختلفة، وتقديم المساعدات العائلية نقدا أو عينا. (A.N.T, Doc:2)

3. 3 اتحاد نساء تونس: (UNION DES FEMMES DE TUNIS)

تم بعث هذه الجمعية النسوية خلال فترة الحرب العالمية الثانية، وبالضبط في شهر مارس 1944م، بمبادرة من الحزب الشيوعي، بقيادة السيدة شارلوت جولان، التي كانت تمارس حرفة التجارة، بحيث تشكلت الهيئة المديرة

للجمعية من نساء الجالية الفرنسية في تونس، باستثناء فاطمة مازيغ التونسية الأصل، لكن مع مرور الوقت أصبحت الجمعية تضم كل نساء الجاليات المقيمة في البلاد التونسية. (عميرة، مرجع سابق، ص 55)

لقد أشارت التقارير الأمنية الفرنسية بأن تنظيم الجمعية وتسطير قوانينها تمت الموافقة عليه بتاريخ الثامن جانفي 1944، بهدف ربط صلات التواصل بين النساء التونسيات بمختلف أجناسهن وديانتهم، وبغية تنشيط المجتمع التونسي، وخدمة الدولة الفرنسية التي كانت تحارب في صف الحلفاء ضد النازية الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية. بحيث كانت إدارة الجمعية تتكون مما يلي:

- الرئيس: السيدة سوليير (Soulis) (مدرسة).
- نائبة الرئيسة: السيدة جلوي الزهرة (بدون مهنة).
- الكاتبة: جولان شارلوتي (Joulain Charlotte) (تاجرة).
- عون كاتبة: السيدة فايس سينون (Vais Simon) (بدون مهنة)، وهي ايطالية الأصل، سرعان ما تم إقالتها من الجمعية.
- رئيسة مالية: مارياني أ.م (Maraiani A.M) (مدرسة).
- الناضرة: السيدة علاشي فرانس (Allachi France)، و بن ساسان إيلدة (Ben Sassane Elda).

لقد تميزت المناضلتان فايس سينون وبن ساسان بنشاطهما المكثف في هذه الجمعية، قبيل إقالة هذه الأولى. فقد قامت الجمعية بتقديم العديد من العروض السينمائية، والحفلات الراقصة على شرف المتضررين من الحرب العالمية الثانية. و ساهمت المجموعة في أعمال بريد، بإيصال رسائل المحاربين والمساجين في مختلف الجهات لعائلاتهم في البلاد التونسية، وتوفير المساعدات الغذائية لأسر المحاربين، ومواساتهم في مشاكلهم اليومية، وغير ذلك من الأعمال خدمة للإدارة الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية. (M.R.E ; 08-01-1945 ; F:23 ; 24)

كما أقام أعضاء الفرع المحلي للجمعية بصفافس حفلا موسيقيا لأطفال ضحايا الحرب العالمية الثانية بتاريخ 31 جانفي 1944 في مدينة صفافس التونسية، وعلى رأسهن أمينة الجمعية السيدة دي بليسي ماري أنطوانا (Dupllessy Marie-Antoinette)، حيث قام أعضاء الفرع بالتشهير للحفل بعبارات "رأس سنة باذخ"، "سهرة جميلة"، حفلة رائعة". ذلك الحفل الذي لم يعرف إقبالا كبيرا من طرف الجماهير التونسية، وحتى من طرف المعمرين الأوروبيين أنفسهم. (M.R.E ; 08-01-1945 ; F:23)، بسبب معارضة البعض لها باعتبار أن الظروف غير مواتية، بحيث سلطوا اللوم والعتاب على رئيسة الجمعية التي أقدمت على إحياء ليلة رأس السنة على أنقاض مدينة صفافس التي أصابها الخراب والدمار الذي أصاب العديد من منازل المدينة، جراء القنابل والمعارك العسكرية التي شهدتها مدينة صفافس خلال الحرب العالمية الثانية. (M.R.E ; ibid; F:23)

وفي إطار نشاطات الجمعية، قام الفرع النسوي التابع للجمعية بمدينة سوسة هو الآخر بتجمع في الكازينو المحلي لسوسة بتاريخ 7 جانفي 1945، تحت رعاية السيدة جولييان نائبة رئيس جمعية اتحاد نساء تونس، والذي حضره حوالي خمسين امرأة من مختلف الإثنيات اليهودية، الأوروبية والمسلمة. هذا الاجتماع الذي نشطه جملة من الأعضاء هم:

- بوطبول مارسال (Boutboul Marcelle): زوجة حياة داوود أمين الفرع الاشتراكي على المستوى المحلي.
- السيدة بيت Pitt : نائبة رئيس فرع جمعية الاتحاد النسائي بسوسة.
- السيدتان: جوليان (Jullaine) وفايس (Vais)، باعتبار أن الأولى نائبة الرئيسة، والثانية كاتبة الجمعية التونسية.

وخلال هذا الاجتماع عارضت السيدة بيت (pitt) مسألة التمويل والمعاش في سوسة، معاتبة مسؤولي المدينة ، وعلى رأسهم حاكم مدينة سوسة السيد زيفاكو (zevaco) ، بتهمة التهاون في تأدية مهامهم، وعدم قدرتهم على القيام بمسؤوليتهم على الوجه الأكمل. وطالبت النائبة أيضا بتحسين الأحوال الاقتصادية في المنطقة، وتحرير حركة التجارة والبيع في البلاد. (M.R.E ; F:43) بينما ركزت السيدة فايس على مشكلة التمويل التي كان يعاني منها سكان مدينة سوسة، رغم البضائع المكدسة في المخازن الفرنسية، معبرة على الوضع القائم بأنه انتقام من الشعب التونسي، وأن المسألة هي مسألة تجويع للشعب التونسي المحتل من طرف السلطات الفرنسية، مع العلم بأن السيدة فايس أشارت إلى مسألة ندرة الزيت من الأسواق في مدينة سوسة. (M.R.E ; F:43)

في الوقت الذي تدخلت فيه الممرضة السيدة البركاني، بصفتها ممثلة للمسلمات التونسيات، وكاتبة في فرع جمعية سوسة، حيث طرحت ثلاثة انشغالات تعالج فيها منحة العائلية للمحاربين التونسيين في الصفوف الفرنسية، والتي كانت تقدر وقتها بـ 22.50 فرنك فرنسي يوميا خلال عام 1945، مع دعوة الإدارة الفرنسية إلى المساواة في المنح بين المحاربين الفرنسيين والتونسيين، وتحسين المؤن للتونسيين، أما النقطة الثالثة فتمثلت في السماح للجمعية بإعادة بعث الجريدة الناطقة باسم جمعية اتحاد نساء تونس من طرف السلطات الفرنسية، والتي أحجمت عن الظهور. بينما طرحت السيدة جوليان سياسة الإدارة الفرنسية التقشفية اتجاه المنح العائلية الممنوحة لأسر المحاربين في الجيوش الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية. (IBID ; F:43)

فالجمعية ناصرت دول الحلفاء والجيوش الفرنسية بشكل كبير خلال الحرب العالمية الثانية، ورفعت الجمعية شعار "الاتحاد مع النساء التونسيات، من أجل تأسيس أمة فرنسية حرة ديمقراطية" خلال الاجتماع الذي عقدته جمعية النساء بالمسرح البلدي بتونس بتاريخ، حيث عقد فرعها المحلي بمدينة صفاقس جمعية بتاريخ 9 أفريل 1945 في قاعة ريكس بسينما صفاقس، حضره حوالي مئة وخمسون امرأة، نصفهم يمثلون النساء الفرنسيات.

وفي ذلك الاجتماع قامت بعض المناضلات بإلقاء خطابات، تتناول هموم وانشغالات المرأة في تونس، وهن على التوالي: ماري بيوت رئيسة التنظيم المحلي ل. إ. ن. ت، وحفيظة بن دراج التي كانت تشتغل معلمة بتونس، والمناضلة أليس سبورتيس (Sportisse Alice) رئيسة اتحاد نساء الجزائر.

ومن بين الاهتمامات الأخرى التي طرحت في هذا الاجتماع قضية إرسال الطرود، التي كانت تعرف تأخرا طويلا حتى تصل لعائلات المحاربين، بسبب ظروف الحرب العالمية. كما تطرقت السيدة حفيظة بن دراج لسوء معاملة الإدارة للمرأة التونسية. في الوقت الذي أشارت أليس سبورتيس لدور المرأة ومساهمتها الفعالة في الحرب خدمة للإدارة الفرنسية، وما قدمته من تضحيات جسام خلال المرحلة العصيبة. كما أشارت المتدخلة ذاتها للظروف التي تشكلت فيها جمعية اتحاد نساء تونس تحت وطأة الاستعمار الألماني، وتحديات المرأة للظروف الصعبة خلال الحرب، بحيث ناهز عددهن حوالي 28000 امرأة مناضلة منخرطة في الجمعية، بعدما كان يقدر بـ 100000 مناضلة من قبل.

لقد استمر نشاط الجمعية خلال الحرب العالمية الثانية لتحقيق بعض المكاسب الاجتماعية، المتمثلة في حق الشغل، الحقوق الفردية والجماعية، تحسين ظروف العمل والأجور، وغيرها من المطالب الاجتماعية الأخرى، ضمن توجهات الحزب الشيوعي، في مختلف فروع الجمعية التي أسست في مختلف الجهات التونسية، منها: أريانة،

حمام الأنف، البالفيدار، حلق الوادي والكرم، أو في المناطق الداخلية للبلاد، في جهات: القيروان، باجة، بنزرت، سوسة، صفاقس، ماطر، قابس، سوق الأربعاء وغيرها من المناطق الأخرى. (عميرة، مرجع سابق، ص 55)

واستمر النشاط النسوي التونسي للجمعية خلال الفترة الواقعة قبل منتصف الأربعينات من القرن العشرين، للمطالبة بالحقوق الاجتماعية للمرأة، حيث عقدت الفتيات التونسيات اجتماعا آخر بتاريخ 27 جوان 1945م، بشارع الباشا، برئاسة الشيخ محمد الصالح النيفر وحرره، هذه الأخيرة طالبت في ذلك الاجتماع بضرورة تأسيس مدرسة للبنات المسلمات التونسيات لتدريس باللغة العربية و اللغات الأجنبية الأخرى-الفرنسية الإيطالية والألمانية -للفتاة التونسية⁽¹⁾ (I.S.H.M.N.T, A.Q.O, F: 544)

4. نضال الجمعيات النسائية التونسية:

شكلت المرأة التونسية القضية الجوهرية في اهتمامات الجمعيات النسائية، حيث ناضلت جمعية المواطنة من أجل إقامة مأوى خيري للبنات التونسيات المعوزات، وذلك من خلال الرسالة التي أرسلتها أمينة جمعية المواطنة السيدة زينب بن ميلاد إلى سمو المملك التونسي تعاتب فيها شيخ مدينة تونس على تماطله في تقديم قطعة أرض لانجاز مشروع الخيري للفتيات التونسيات. (A.N.T ; 1950, Doc: 21)

إن هموم المرأة التونسية لم تقتصر على الدفاع عن القضايا المتعلقة بجنسها، بل ساهمت في معالجة قضايا الطلبة الزيتونيين، ومنه الاحتجاج الذي رفعه الاتحاد الوطني للنساء التونسيات إلى الوزير الأول السيد الشنيق بتاريخ 30 جانفي 1951، احتجاجا على توقيف الإدارة التونسية لخمسة طلاب زيتونيين عن الدراسة من الجامع الأعظم. (A.N.T ; 1951, Doc: 9)

إذا كانت دعوة بعض النساء إلى التحرر السفور، والتشبث بالنساء المسيحيات، فإن بعضهن كن يطالبن بالتعقل وعدم الأخذ من الغرب، على حد قول بشيرة بن مراد في المقال الذي نشرته في تونس الفتاة (تونس الفتاة، 01-04-1938، ص 1-8): "لا سبب لذلك إلا شروعا في أخذ لا فائدة فيه من بعض من لا قيمه لهم من الغربيين ويأخذون عنهم ما يضر ولا ينفع فإذا انظم إلى ذلك أن المرأة تريد أن تتشبه بأولئك الشبان فعلى تونس السلام". لذلك كانت دعوة بشيرة بن مراد إلى تربية المرأة على الشريعة المحمدية في المدارس التي تنتهج برامج تعليمية صالحة. (بشيرة بن مراد، 10-11-1938، ص 7)

كما أقدمت زمرة من الفتيات التونسيات المجنسات بالجنسية الفرنسية بقوة القانون على تأسيس لجنة المسلمات الفرنسيات المجنسات (le comité des musulmanes naturalisées françaises)، المكونة من الفتيات التونسيات اللواتي تجنس أبهائهن بالجنسية الفرنسية، للدفاع عن قضاياهن، وحل المشاكل التي كن يعانين منها، ومن ضمنها مسألة الزواج مع الشبان المسلمين، الذين كانوا يرفضون الارتباط بالفتيات المجنسات، لأجل ذلك قام أعضاء الجمعية بتقديم عريضة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية فانسون أوريو (Vincent Auriol) (1947- 1954)، يشكون وضعهم حيال قانون التجنيس، الذي يعتبر أولاد المجنسين هم بالضرورة فرنسيين عند سن البلوغ. وهذا الأمر كان محرجا للفتيات التونسيات، نظرا لرفض الكثير من شباب المسلمين الزواج بهن، لأن الأولاد الذين سيتم إنجابهم منهن يصبحون طبقا للقوانين الفرنسية مواطنين فرنسيين وليسوا مسلمين، لذلك طالبت الفتيات التونسيات النظر إلى أحاسيسهن المتمثلة في الرغبة في إنجاب أبناء تونسيين، بدل الإكراه على الزواج من أشخاص فرنسيين. (C.D.N., 23-04-1948 ; n°04.)

خاتمة ونتائج الدراسة:

لقد سمحت قوانين إنشاء الجمعيات في البلاد التونسية في نهاية القرن التاسع عشر (15 سبتمبر 1888) بظهور الجمعيات المختلفة في البلاد، ومنها الجمعيات النسوية للمطالبة بحقوقها الاجتماعية، والنهوض بالمرأة وترقيتها اجتماعيا.

لقد بدأ التفكير في تأسيس الجمعيات النسائية في البلاد التونسية خلال الثلث الأول من القرن العشرين، الذي سائر المطالب والأفكار التحررية التي نادى بتحرير المرأة وسفورها التونسية، ومنحها حقوقها الاجتماعية - المهضومة-، حيث طبعت الساحة الاجتماعية التونسية في مطلع الثلاثينات ظهور جمعيات نسوية تونسية في تونس خلال الفترة الاستعمارية، اختلفت في أفكارها وتوجهاتها الاجتماعية.

فضلت المرأة التونسية الاهتمام بالقضايا المتعلقة بالمرأة والفتاة المسلمتين، والعمل في إطار الثوابت الوطنية والدينية التونسية، المواجهة للحركات والأفكار التقدمية التي نادى بخروج المرأة عن مقوماتها الوطنية، والتي طبعت المجالات الفكرية الإعلامية التونسية من جهة، ومن جانب آخر حاولت المرأة المسلمة أن تتبنى القضايا المتعلقة بجنسها دون وصاية الرجل عليها، كما هو حال نساء الجاليات الأوربية، اللواتي أسسن العديد من الجمعيات النسوية.

إن نشاط الجمعيات النسوية في تونس انشق إلى شقين اثنين متباينين، ورغم أن موضوعه هو الدفاع عن العنصر الأنثوي، فالشق الأول اهتم بقضايا التونسيات المسلمات فقط، والدفاع عن الفئة المغلوبة عن أمورها، أما الشق الآخر فقد مثل قضايا المرأة والأسرة التونسية بمختلف أطيافها وأعراقها في البلاد التونسية.

تعتبر المرأة التونسية سباقة في النضال الجماعي على غرار نظيرتها المغاربية، باعتبار أن المرأة التونسية أقدمت على تأسيس جمعيات منظمة ومؤطرة قانونيا مع مطلع الثلاثينات من القرن العشرين، لكي تدافع عن حقوقها ومشاكلها، بعيدا عن وصاية الرجل المفكر والعالم التونسي.

إن الجمعيات النسوية التي ظهرت خلال النصف الأول من القرن العشرين، هي باكورة النضال النسوي التونسي، التي جعلت المرأة التونسية رائدة في النضال النسوي في المغرب العربي خاصة، والوطن العربي عامة.

قائمة المصادر والمراجع :

1. الهادي العبيدي، 1928، «الجمعيات النسائية وحاجتنا إليها»، ج. الصواب، ع: 532، 25 رمضان 1346هـ / 16-03-1928م.
2. الكاتبة العامة، 1950، «الاتحاد النسائي الإسلامي»، ج. الحرية، ع: 128، 28 ذي القعدة-1369 / 10-09-1950م.
3. نائلة ماني، 1983، المرأة من خلال الصحافة التونسية من الثلاثينات إلى سنة 1965. تونس، ك.آ.ع.إ.
4. جريدة تونس الفتاة، 1983، ع: 1، 30 محرم 1357هـ / 01-04-1938م.
5. أحمد خالد، 1985، أضواء من البيئة التونسية، الطاهر الحداد ونضال جيل ط 3، تونس، الدار التونسية للنشر.
6. بوذينة محمد، 1992، مشاهير التونسيين. تونس، المطابع الموحدة.
7. ضيف الله، 1995، «معالم الحركة النسائية في تونس (1936-1956) مساهمة في التأريخ للحياة الجمعياتية»، مج روافد، ع: 1، أوت 1995
8. زهير الذواوي، 2003، تحولات العمل السياسي في سنوات الثلاثين 1929-1939، ط1، تونس، الأطلسية للنشر.
9. القايد الدو، 2006، منارات الفكر. تونسيات على درب النضال 199-1956. ط1، تونس: مطبعة السفير التونسي

10. عميرة عليّة الصغير، 2010، في التحرر الاجتماعي والسياسي، فصول في تاريخ تونس المعاصر، ط 1، تونس، المطبعة المغاربية للطباعة وإشهار الكتب.

11. القانون الأساسي للجمعية.

A.DEMEERSEMAN.1938 «L'évolution Féminine Dans La Bourgeoisie Tunisienne»,in R. I.B.L.A,(1)4.

A.N.T,1938, S: E, C: 509, Dos: 594, 01.

I.S.H.M.N.T, A.Q.O, 1945 .B: r 179, Dos: 3, 544.

A.N.T, 1947, S: E, C: 509,Dos: 477, 03.

A.N.T, 1947, S: E, C: 509, Dos: 477, 12.

A.N.T,1947, S: E, C: 509, Dos: 477,05.

C.D.N, 1948. B.3- 37, 4.

A.N.T1951, S: E, C: 509, Dos: 477,9.

A.N.T, 1950, S: E, C: 509, Dos: 477, 21.

A.N.T,1951, S: E, C: 509, Dos: 594, 07.

A.N.T, 1951, S: E, C: 509 ,Dos: 477, 12.

A.N.T,1951, S: E, C: 509, Dos: 477, Doc: 09.

A.N.T,1951,S: E, C: 509, Dos: 477, 05.

A.N.T,1951, S: E, C: 509, Dos: 594, 02.

A.N.T,1951, S: E, C: 509, Dos: 594, 03.

A.N.T,1951, S: E, C: 509, Dos: 594,21.

A.N.T,1951, S: E - C: 509, Dos: 477, 14.

A.N.T,1951, S: E, C: 509, Dos: 594, 16.

مختصرات:

Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National : I.S.H.M.N.T

Archives nationales de Tunisie : A.N.T

Le Centre de Documentation Nationale de Tunis :C.D.N